

## الكمية والنوعية؛ مروحة خيارات

تنتهي المقاربات السابقة الى الاصطدام بالحلقة المفرغة ذاتها، وتترك الاسئلة مفتوحة؛ ان لا يوجد قياس مقبول لاشكالية العلاقة بين الكمية والنوعية. اما على الصعيد التخطيطي لبناء القوة، فان هناك شكوكاً في التوصل الى مثل هذا التصور، في غياب تحديد استراتيجية «الامن القومي». وعليه، ما الذي يمكن ان تقدمه معطيات التجربة حصراً، والمقارنة التاريخية بصورة اجمالية، لاضاءة ابعاد المشكلة؟ هنا يتسع المجال لكل الخيارات؛ من خيار المقامرة على التاريخ لتأكيد الافتراض التقليدي «نوعية في مقابل كمية»، الى خيار الرزم المتوازنة «نوعية وكمية في مقابل كمية ونوعية»، الى خيار النوعية في مقابل النوعية «خيار التسابق على النوعية»، الخ. ومن البديهي ان يكون لكل خيار، في اطار هذه المروحة، تبرير يمتلك قدراً من الوجاهة والصحة.

### خيار المقامرة على الخزينة (التفوق في النوعية)

ناقش البروفيسور مارتن فان كرفيلد التحولات التاريخية التي طرأت على مشكلة الكمية والنوعية، ومغزى ذلك على بنية الجيوش. وهو أشار الى انه منذ بداية هذا القرن برزت نقطة تحول جذرية في طابع الحروب، التي اصبحت أكثر تعقيداً؛ ان لم يعد الفضل في احراز الانتصار ينحصر في نوعية الجنود أو المعدات والاسلحة فقط، بل بفضل عوامل أخرى، تتمثل في نوعية القيادة، والتنظيم، والتكتيك، والاساليب. وإزاء هذا التحوّل، فان القدرة على استغلال الموقف، والمكان، في سبيل الحصول على افضلية، يلعب دوراً حاسماً في التأثير في نتائج الحرب، وهو ما يقتضي توفر القدرة على القيام بالمخاطرة، والجرأة، والارتجال. والخلاصة، ان مشكلة الكمية في المعركة الحديثة ليس لها حلول مطلقة وواضحة. وهذا ينطبق، ايضاً، على الخيارات التي تواجهها اسرائيل، التي تعاني من تفاوت في الكمية مع جيرانها.

والخيار الذي طرحه كمخرج من مأزق الخيارات التي تواجه اسرائيل لخصه على النحو التالي: «اذا كانت النسبة (الكمية) اسوأ من ٣:١ اصنع السلام ودافع عن نفسك بصلابة وتفاعل بالخير، أو قامر على الخزينة كلها». وهو يحجج استمرار العمل بالخيار الثاني «المقامرة على الخزينة»، الذي اتبعته اسرائيل حتى الآن، والذي يقتضي استمرار العمل على الاحتفاظ بالافضلية النوعية في جميع المستويات.

### خيار الرزم المتبادلة

يدل التاريخ العسكري - من وجهة النظر هذه - على ان الكمية ستنتصر، في نهاية الامر، في الحروب الطويلة، اذا لم تقف ضدها، الى جانب النوعية، كمية ضرورية ايضاً. وهذا - حسب العقيد أبراهام ابلون - ما تأكد، ايضاً، في حرب تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٧٣، عندما لم يستطع سلاح الجو والقوة النظامية النوعية - ولكن الضئيلة - لدى الجيش الاسرائيلي، في أيام القتال الاولى، ان تواجه وفرة قوة مصر وسوريا؛ ان كان ينقص اسرائيل يومذاك، من جبل الشيخ شمالاً حتى حصون قناة السويس جنوباً، توازن سليم في رزم النوعية والكمية. ويفهم من هذا ان المقولة السابقة «نوعية في مواجهة كمية» قد جرى تحديدها بصورة خاطئة، وانه يجب تعديل هذه المقولة بصورة جوهرية، لانه اذا كان ما يميز امن اسرائيل هو صراع قلة في مواجهة كثرة، فليس معنى ذلك، بالضرورة، ان النوعية فقط ستساعد اسرائيل، لأن هذه المعادلة ليست مشروطة باسرائيل وحدها، بل، ايضاً، بمن يحيط بها. وهذا يعني انه اذا كان العرب ينتهجون سباق التسلح، فليس لدى اسرائيل من خيار سوى مناقشتهم، ايضاً، في الكمية. ويصبح المطلوب، اذاً، رزم نوعية وكمية متوازنة لدى اسرائيل تمكنها من مواجهة كمية ونوعية لدى اعدائها.

### الخيار المستقبلي؛ نوعية في مواجهة نوعية

تقوم الدعوة الى هذا الخيار، التي يتبناها د. زئيف ايتان، على أساس تخطئة الافتراضات القائمة على الاستهانة بالتحسن النوعي الذي يطراً حالياً (في الماضي القريب وفي المستقبل القريب) على الجيوش